إن مؤتمر باندونغ هو الذي غرس الفكرة الأفرو–أسيوية التي تحولت فيما بعد إلى فكر عدم الإنحياز، وغرَس "في شكل مبدإ الحياد نواة لنفسية جديدة للسلام مغيرة مفهوم لتوجيه عدم العنف، الذي يملي على المرء أن يكون صديقا لجميع الناس ولجميع المبادىء."

الهوامـــش:

1- مجموعة من الأسلتذة الغربيين – تاريخ عصرنا، .ترجمة نور الدين حاطوم، دار الفكر، دمشق 1971. ص: 477

2- لم تحضر دولة اتحاد إفريقيا الوسطى.

3-أنظر: Audite Guitard ; Bandoeng /Que sais- je /Presses Universitaires de France – Vendôme. 1974

4-أنظر: Slimane Cheikh- L Algérie en Armes OPU, Alger 1981 , p 457

5- دروزيل ج.ب. التاريخ الديبلوماسي، ترجمة نورالدين حاطوم، دارالفكر، دمشق 1978 ، ص.311

6- مالك بن نبي، فكرة الإفريقية الأسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار القاهرة للطباعة، دون تأريخ، ص.98.

إنتفاضة سكان واحة الزعاطشة عام 1849م
من خلال مذكرات الجنرال هيربيون

أ / رابح لونيسي*

لم تتوقف المقاومات والإنتفاضات ضد الاستعمار الفرنسي بنهاية مقاومة الأمير عبد القادر عام 1847م، فقد ظهرت عدة انتفاضات ومقاومات أخرى ومنها انتفاضة سكان واحة الزعاطشة بالزيبان بقيادة الشريف بوزيان عام 1849م، لكن للأسف تكاد تنعدم المصادر الجزائرية التي تتحدث عن هذه الثورة شأنها في ذلك شأن الكثير من الانتفاضات الأخرى التي حدثت في نفس الفترة، ويمكن أن يعود ذلك إلى التدمير الإستعماري الكلي للذين شاركوا في هذه الانتفاضات فلم يتسن لهم الكتابة عنها أو لعل هذا يعود إلى غياب روح التدوين لدى شعبنا كما يقول الدكتور أبو قاسم سعد الله[1]، والذي لا زلنا نعاني منه إلى حد اليوم بالنسبة لثورتنا المسلحة في عام 1954م، ولهذه الأسباب كلها لا يتمكن الباحث في تاريخ انتفاضة الزعاطشة الكتابة عنها دون الاعتماد الكلي على المصادر الاستعمارية، ومن هذه المصادر يمكن لنا ذكر المذكرات التي كتبها البعض مـــن الذين شاركوا في معاصرة الثـــوار ومنهم ضابط المدفعية باريزي Pariset الذي كتب يومياته عن انتفاضة الزعاطشة أنهاها يوم

*أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ – جامعة وهران – وباحث في مخبر البحث التاريخي " تراجم ومصادر ".

6 ماي 1950م وتحمل عنوان "Journal sur l' insurection de zaatcha "، وتقع في 10 صفحة مخطوطة باليد، وتوجد بأرشيف أكس بروفنس وكذلك نجد يوميات أخرى بنفس الشكل وبنفس الأرشيف لقائد أركان الحملة ضد الزعاطشة الجنرال Berthezel. وقد أو هذه المذكرات يوم 14 ديسمبر 1894م، مثلما يعتمد الباحث أيضا على ما كتبه الكومندا سيروكا seroka عن الانتفاضة من خلال ما نشره عن الجنوب القسنطيني من 1830 إل 1855م بالمجلة الإفريقية (عدد 56 سنة 1912م)، خاصة وأن سيروكا قد اشتغل طويلا ف المكتب العربي ببسكرة حيث كان نائبا لمسؤولها عام 1848م[2] .

لكن أهم المصادر على الإطلاق عن انتفاضة الزعاطشة هي ما كتبه قائد الحملة الجنرال هيربيون Herbillon الذي كان مسؤولا على منطقة قسنطينة أنذاك، وقد نشر كتابه عا 1863م بباريس بعنوان "الثورة في جنوب عمالة قسنطينة وعلاقتها بمحاصرة زعاطشة" Insurrection survenu dans le sud de la province de constantine - relation du siège de zaatcha - paris 1863)، وقد أعيدت مقتطفات مهمة من الكتاب في مذكرا بعنوان "بعض الأوراق لكراس قديم مذكرات الجنرال هيربيون" وقد نشرتها ابنته بعد وفا عام 1864م[3]، فما دام مذكرات هيربيون وثيقة هامة بالنسبة لانتفاضة الزعاطشة ولا تملك وثائق لجزائريين أو خصوم له تساعدنا على الحكم وإظهار الحقيقة الفعلية، فإنه علينا نقد هذ الوثيقة نقدا علميا والاستفادة منها، ولهذا علينا معرفة الدوافع الحقيقية لكتابته عن انتفاض الزعاطشة والعوامل المتحكمة في كتابته وأهم محتويات الوثيقة ونقدها ثم استخراج المعلوما أو استنتاجها منها.

1- *دوافع كتابة مذكراته*:

يقول الدكتور أبو قاسم سعد الله عن مذكرات هيربيون بأنها محاولة منه لتبرير "الإرهاب الذي استعمله في زعاطشة"[4]، ولا نرى على ماذا استند الدكتور سعد الله في ذلك ما دا الجميع يعلم مدى تبجح قادة الجيش الإستعماري في ذكر المجازر التي يرتكبونها ضد الشعب

الجزائري، وكانوا لا يخفون جرائمهم بل يظهرونها للملإ، وكانوا "يتنافسون في ذلك لأن كل من هدم وقتل وحرق ...أكثر من زملائه يصبح هو البطل المغوار في نظر غلاة الاستعمار"،[5] ولهذا لا يمكن أن يكون السبب الذي ذكره الدكتور سعد الله دافعا كافيا لذلك ونرى أن هناك دوافع أخرى، ومنها الرد على الذين ما انفكوا ينتقدون هيربيون و يقولون بأنه أخذ وقتا طويلا للقضاء على انتفاضة الزعاطشة وفشل عدة مرات في محاولاته المتكررة، ولذلك نجد هيربيون يركز في مذكراته على العراقيل والصعوبات الطبيعية لمنطقة الزيبان[6]، وقلة الإمكانيات العسكرية والبشرية التي كانت في حوزته وتأخر المؤن والمساعدات التي كان يطلبها، ويحمل الجنرال الذي سماه بـــ"س" مسؤولية ذلك[7]، ويقول أن هذا الجنرال كان وراء المؤامرات والدسائس التي تعرض لها مما أدى إلى إبعاده عن منصب مسؤول منطقة الشرق، وأنه كان الجنرال يطمع في استخلافه، لكن خلفه في الأخير سانت آرنو saint arnaud. ويقول أن هذا الجنرال كان وراء إشاعة أن الجنرال هيربيون مريض بهدف إبعاده كليا عن القيادة العسكرية، وقد اكتشف ذلك بنفسه لدى زيارته لويس نابليون في باريس الذي كان رئيسا للجمهورية قبل أن يصبح إمبراطورا عام 1852م[8] .

واستهدف هيربيون أيضا من مذكراته إبراز دوره في القضاء على ثورة الزعاطشة رغم كل المصاعب والعراقيل التي لاقاها، وبأن الدور الذي لعبه كان وراء كل المكاسب التي حققها الاستعمار في الجزائر فيما بعد لأن ما فعله في زعاطشة كان درسا – حسب هيربيون – لكل من تسول له يده الثورة والتمرد على الاستعمار، فيذكر كيف زرع "السلم في منطقة قسنطينة"، وكيف جاءت القبائل مستسلمة تطلب الأمان[9]، و يعتقد أن كل هذه الجرائم التي قام بها في الجزائر يجب أن يكافأ عليها بالترقية لا بالانتقادات والمؤامرات والدسائس، ويحاول إبراز نفسه بأنه عسكري منضبط حيث نفذ تعليمات الحاكم العام في الجزائر شارون Sharon بحذافيرها عندما أمره بأن يستعمل كل الوسائل للقضاء على انتفاضة سكان

زعاطشة وعليه أن يحصل على "نتائج ذات دلالة بمعاقبة قاسية للسكان لأنها الوسيلة الوحيـ
لإخضاع الواحات المتمردة"[10]. ولا نعتقد بأن إيراده تعليمات شارون إليه هي محاولة م
لتبرير مسؤولياته في الجرائم والمذابح التي ارتكبها بل رغب أيضا إشراك زميله في الافتخار
وإبراز انضباطه وطاعته للمسؤول الأعلى، خاصة وأنه يبرز تملقا للإمبراطور نابليون الثالث
ودافع عن ابنه الأمير بيير نابليون Pierre Napoleon الذي جاء إلى الزيبان للمشاركة
الحصار لكنه انسحب منها فيما بعد مما عرضه لانتقادات حادة، لكن برأه هيربيون وبر
انسحابه بالقول أن عودته إلى باريس ضرورية "بصفته أحد ممثلي الشعب في غرفة النواب"
، وفي نفس الوقت يقول أنه انسحب تحت تأثير الكولونيل كاربوشيا Carbuccia الذي أر
استخدام الأمير الشاب كوسيلة للصعود والترقية مما يدل على التناقض في كلام هيربيون
ويبدو أن الجنرال هيربيون تحدث عن مسألة الأمير أيضا لإبراز مدى المصاعب التي لاقاها
زعاطشة التي كادت أن تودي بحياة الأمير بيير نابليون نفسه[12]، ويبرز في مذكراته رسالة
من الأمير تعترف وتقدر مدى شجاعة الجنرال هيربيون[13]، ولم يورد كل هذه القضايا إ
بهدف الرد على التهم والانتقادات التي وجهت له.

وإن كنا قد أبرزنا بعض دوافع هيربيون لكتابة مذكراته حول حصاره لزعاطشة التي يج
على الباحث أخذها بعين الاعتبار عند استعماله هذه الوثيقة فإن ذلك لا ينفي دافعا وس
آخر وهو ولع الأوروبيين بتدوين مذكراتهم عكسنا نحن مثلما قلنا في بداية دراستنا هـ
والذي يجب معالجة ذلك والبحث العميق في أسبابه.

2- *محتوى المذكرات ونقدها:*

2-1- حول أسباب الانتفاضة:

يرد هيربيون السبب الرئيسي لانتفاضة الزعاطشة إلى اندلاع ثورة 1848م في باريس
وسماع سكان واحة الزعاطشة بها عن طريق البسكريين الذين كانوا يعيشون ويعملون بالمد

الكبرى كالجزائر وقسنطينة، بالإضافة إلى إشاعات اليهود التي نشروها بين السكان حول ما
يحدث في باريس من إنشقاقات وصراعات حادة وبأن الحكم العسكري في طريقه إلى السقوط
و بإمكان ذلك أن يؤدي إلى الانسحاب الفرنسي من الجزائر. وقد استغل الشريف بوزيان
هذا الوضع بالإضافة إلى انشغال هيربيون بانتفاضة الزواغة والجنرال سال Salles بانتفاضة
بني سليمان في بجاية فشرع في إثارة السكان وهدفه من كل ذلك هو الانتقام من الفرنسيين
الذين رفضوا توضيفه ضمن المخزن [14].

يختلف المؤرخون كثيرا حول تفسيرهم حدث تاريخي ما والبحث في أسبابه، و يعود هذا
الاختلاف إما إلى غياب بعض الوقائع لدى المؤرخ أو إلى المنهج التاريخي المعتمد أو إلى الخلط
بين الأسباب البعيدة والعميقة والأسباب القريبة أو إلى تداخل الأسباب ذاتها، لكن في بعض
الأحيان تذكر أسباب وتغيب أخرى عن قصد مثلما يفعل الكثير من مؤرخي المدرسة
الاستعمارية عند تناولهم تاريخ الجزائر. ويبدو أن الجنرال هيربيون ولو أنه ليس بمؤرخ فإنه
أراد إيهامنا بأن الشريف بوزيان لم يقم بالثورة إلا لأهداف خاصة به مثلما يفعل الكثير من
المؤرخين الاستعماريين قبله وبعده بالنسبة لقادة الانتفاضات في الجزائر، لكن وقع هيربيون في
تناقض عندما يذكر أن الشريف بوزيان كان مجاهدا للاستعمار تحت قيادة الأمير عبد القادر
وكان شيخا على الزاب الظهري تابعا للأمير[15]، فهل حمل الشريف بوزيان السلاح ضد
الإستعمار تحت لواء الأمير طمعا في منصب أيضا أم لدوافع وطنية و دينية، ويمكن لنا القول
أن الدافع الوطني كان أقوى لدى الشريف بوزيان من الديني، ولو أنه من الصعب الفصل
بينهما في تلك الفترة، ويعود ذلك إلى اختلاف بوزيان عن الأمير عبد القادر من ناحية
الطريقة الصوفية التي ينتميان لها، فالأمير عبد القادر من الطريقة القادرية أما الشريف بوزيان
فهو من الطريقة الرحمانية المنتشرة بقوة في منطقة الزيبان[16]، خاصة وأن الطرق الصوفية
والانتماءات القبلية أنذاك كانت تلعب دورا كبيرا في التقريب بين الأفراد أو التباعد بينهما

مما يدل على مدى تجاوز الشريف بوزيان لذلك مثل الكثير من القادة أنذاك واكتفاءه بالرابط الدينية والوطنية ورفض الظلم الاستعماري.

وإن كان هيربيون يعتبر أن الثورة 1848م سببا لانتفاضة الزعاطشة فإنه لا يميز بين الأسباب والظروف، فكان بالأحرى عليه أن يقول أن بوزيان عرف كيف يستغل الظروف المناسبة للثورة وهذه من صفات القادة الكبار الذين يعرفون اختيار الزمان والمكان المناسب للمعركة أو الثورة أو أي حركة يقومون بها.

2 -2- حول شخصية الشريف بوزيان:

يصف هيربيون الشريف بوزيان بـــ"الدجال" و"المتعصب" الذي يستغل الدين لإثارة سكان واحة الزعاطشة ضد الفرنسيين و كان يقول للناس أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فصافحه فبقيت يده خضراء وهو رمز الدين، مثلما ازداد نفوذه أكثر عندما كان يقول لهم بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ثانية فأخبره بأن "حكم الكفار قد انتهى وسيبدأ حكم المؤمنين الحقيقيين"[17].

يريد هيربيون من إيراده كل هذه الأقوال التأكيد على دجالة الرجل وإيمان الجزائريين بالخرافات مما يعطي الشرعية لأعمال فرنسا في الجزائر أمام الرأي العام الفرنسي والأوروبي المولع في العقلانية والمتأثر بأوصاف المستشرقين عن الشرق الخرافي والمتخلف ومنها الجزائر. أننا لا ننفي ما قاله هيربيون عن لقاء الشريف بوزيان الرسول صلى الله عليه وسلم وما وعده بنهاية حكم الكفار، لكن لا يستطيع فهم هذه الظواهر إلا المجتمع التي يعيشها، ونعتقد أن هيربيون وأغلب المؤرخين لانتفاضة الزعاطشة يخفون أشياء ليست في مصلحتهم، ويمكن أن تكون هناك انتصارات عظيمة حققها الشريف بوزيان على الفرنسيين لأن الأساطير لا تظهر حول الأبطال إلا بعد تحقيقهم انتصارات كبرى، لكن يتحدث هيربيون عن انتشار هذه الأساطير قبل الإنتفاضة وإذا لم يكن كذلك فإنها يمكن أن تكون أمور قام بها بوزيان لتهدئة

السكان، وقد عجز هيربيون بعقليته الأروبية عن فهمها وهذا العجز نجده أيضا عند سيروكا عندما لا يفهم معنى الوعد بالنصر الذي أعطي للسكان من طرف الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان يعتقد بأنه جاء الشريف بوزيان في الحلم[18]، وتتمثل الحقيقة في تكرار سكان واحة الزعاطشة للآيات القرآنية التي كانت تعد المؤمنين بالنصر.

إن عجز المؤرخين والقادة الإستعماريين عن فهم الروح الدينية للجزائريين في بداية الإحتلال هي التي جعلتكم يصفونها بالخرافة والدجالة والتعصب...وغيرها من الأوصاف. لكنهم أبقوا تلك الصفات رغم علمهم فيما بعد بخطئهم ما دامت تخدم الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

ويجدر بنا الاشارة حول مسألة ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم للشريف بوزيان في المنام ولو أننا لا نستبعدها إلى قول الحاج قارة من دلس في الخمسينيات من القرن 19م من أن هذا الرسول لم يكن محمدا صلى الله عليه وسلم بل هو الحاج موسى الدرقاوي الذي كان يخطط للانتفاضة فأشار على الشريف بوزيان بإشعال فتيلها[19]، خاصة وأن الحاج قارة كان صديقا للحاج موسى الدرقاوي في الثلاثينيات من القرن 19م مما جعله يكتب سيرته فأعطاها لبربروجر Berbrugger وترجمها Gorgueos ونشرت بالمجلة الإفريقية. ونشير إلى أن الحاج موسى الدرقاوي قد علقت رأسه إلى جانب رأسي الشريف بوزيان وإبنه عند مدخل بسكرة بعد القضاء على انتفاضة الزعاطشة بأمر من الجنرال هيربيون. هذا ما يدفعنا إلى طرح تساؤلات عن دور الحاج موسى الدرقاوي في هذه الانتفاضة فهل كان مشاركا فيها فقط ! أم كان مخططا ومدبرا لها أم يمكن أن يكون قائدا لانتفاضة شاملة في الجزائر ضد الاستعمار منطلقها منطقة الزيبان، خاصة وأن الدرقاوي كانت له علاقات بالكثير من القبائل الجزائرية، مثلما جاهد إلى جانب الأمير عبد القادروقام بإنتفاضة في تيطري، كما أنه جاب الكثير من المناطق في الجزائر فهو قطع الجزائر كلها انطلاقا من فاس بالمغرب الأقصى مرورا بمعسكر

والمدية والقبائل حتى الشرق الجزائري ووصولا إلى منطقة الزيبان، وما أنفك يدعو الناس الجهاد المقدس، وقد تمرد على الأمير عبد القادر رفضا لعقد هذا الأخير معاهدة تافنة الفرنسيين[20].

3- *هل الانتفاضة عفوية أم مخططة* ؟:

يقول هيربيون أن الوضع في منطقة الزيبان كان يوحي بالهدوء التام مثلما كان سائدا السيطرة عليها في عام 1844م، ويؤكد ذلك الهدوء بتنقلات الرحل إلى التل، لكن الوضع فجأة بعد محاولة سيروكا إلقاء القبض على الشريف بوزيان ونجاح هذا الأخير الهروب ثم محاولة دوبوسكي إلقاء القبض عليه مرة أخرى ومطالبة سكان واحة الزعاط تسليمهم إليه، إلا أنهم هبوا جميعا للدفاع عنه فتمت الدعوة إلى التمرد، فاضطر هيربيون إعطاء تعليمات بعدم استفزاز سكان المنطقة وتهدئة الوضع حتى ينتهي من القضاء التام ع ثورة القل في الشمال[21].

ويريد هيربيون الايحاء بأن هناك عدم التخطيط أو الاستعداد للإنتفاضة فناقض بذل سيروكا الذي قال أن بوادر هذه الانتفاضة كانت بادية على كل البلاد الجزائرية بسبب ث 1848م بباريس[22]، فهل لم يخبر نائب مسؤول المكتب العربي ببسكرة مسؤوله الأعلى بذلك أن هيربيون أراد إخفاء علمه بالاستعدادات للإنتفاضة كي لا يتهم بأنه لم يتخذ الإجراء الضرورية لذلك. ونعتقد أن محاولة سيروكا إلقاء القبض على الشريف بوزيان هي مجا استفزازية تم اللجوء إليها لدفع الثوار إلى الحركة قبل استكمال استعداداتهم لها.

ولم يشر هيربيون في مذكراته إلى مختلف الانتفاضات التي عرفتها البلاد أنذاك باست البعض منها التي لها علاقة قريبة بانتفاضة الزعاطشة كانتفاضة ابن شبيرة في بوسعادة وع الحفيظ المنهي في الأوراس وانتفاضة أولاد سحنون في بريكة، فهل أراد هيربيون إبعاد أ علاقة بين مختلف هذه الانتفاضات مما يمكن أن توحي أن هناك انتفاضة شاملة هزت البلا

الا أنه اضطر إلى ذكر بعضها فقط لتبرير المصاعب التي لاقاها في القضاء على انتفاضة الزعاطشة[23]، فهل مختلف هذه الانتفاضات هي مجرد النزعات الأخيرة لمقاومة الأمير عبد القادر بعد استسلامه كما يقول المؤرخون الاستعماريون أم أنها محاولة للقيام بانتفاضة شاملة مخططة تعم كل البلاد مستغلة ثورة 1848م بباريس. لكن لم نجد إلى حد اليوم الخط الرابط فيما بينها وطبعا الوثائق الاستعمارية عليها أن تخفي ذلك، وما يدفعنا إلى تبني الطرح الأخير هي المساعدات التي لاقتها انتفاضة الزعاطشة من الخارج والتي أورد هيربيون بعضها، بالإضافة إلى قوله أن هناك الكثير من الأجانب كالتونسيين والمغاربة وحتى من الحجاز قد قتلوا في زعاطشة[24]، فهل قصد بذلك تبرير المصاعب التي وجدها للقضاء عليها أم أن هؤلاء الأجانب ما هم في الحقيقة إلا جزائريين جاءوا من مختلف المناطق لدعم انتفاضة الزعاطشة التي من المفروض أن تكون مرتكزا لثورة شاملة هبت على البلاد كلها كما أوحى بذلك سيروكا دون قصد منه، ويمكن أن يكون سيروكا قد وجد بوادرها في وثائق وتقارير قد بعثت من مختلف المكاتب العربية عندما أصبح يعمل في مستوياتها العليا عام 1855م[25].

وإن كانت مختلف الأبحاث لم تؤكد لنا إلى حد اليوم عن وجود ثورة شاملة إلا إن ما لا يمكن أن ينكره أحد هو وجود الكثير من الذين قاتلوا تحت لواء الأمير عبد القادر في مختلف هذه الانتفاضات كالشريف بوزيان والحاج موسى الدرقاوي في الزعاطشة بالاضافة إلى محمد بن عبد السلام المقراني وأحمد بن عمر العيساوي بمجانة وبن شبيرة ببوسعادة وبوبغلة وبن سالم بالقبائل وغيرهم[26] مما يؤكد صحة طرح الأمير عبد القادر وبعد نظره عندما اشترط عدم المساس بأصحابه مقابل الاستسلام لأن هؤلاء هم الذين حملوا مشعل الجهاد بعدما أبقوا شعلة المقاومة مستمرة لمدة طويلة، فنمت روح الحقد على الاستعمار الفرنسي الغاشم فبقيت روح الثورة مشتعلة في النفوس حتى الاستقلال في عام 1962م.

4- *مواجهة هيربيون للانتفاضة*:

لا يخفي الجنرال هيربيون محاولاته للقضاء على الإنتفاضة إلا أنه لا يجني إلا الفشل، فبعد فشل القيادة المحلية في تهدئة الوضع في بداية الإنتفاضة فنصحها بالاكتفاء بمحاصرة المنطقة كي لا تتوسع الإنتفاضة إلى المناطق المجاورة، ويقول فرغم ذلك فإنه "على الأقل نجحت في تأخير مقدمها"[27]، لكن باندلاع انتفاضتي أولاد سحنون في بريكة وعبد الحفيظ الخنقي في الأوراس وقتله للكثير من الجنود الفرنسيين وعلى رأسهم سان جرمان اضطر هيربيون إلى فرض الحصار الشامل على واحة الزعاطشة بصفتها مصدر القلاقل في المناطق الأخرى[28]، فوصل زعاطشة بقواته يوم 7 أكتوبر 1849م ليستولي على الزاوية لكن في هذه الظروف اندلعت عدة أعمال في المناطق المجاورة تستهدف قطع طريق المواصلات عن قوات هيربيون فقرر الهجوم على الواحة قبل فوات الأوان، فكان هجومه الفاشل يوم 20 أكتوبر أين تكبد خسائر فادحة[29]، فحلل هيربيون الوضع ليتأكد أن سبب الفشل هو نقص العدة والعتاد فطالب بقوات أخرى لدعمه فجاء الكولونيل Canrobert بـ 1210 رجل بعد ما قضى على انتفاضة بوسعادة، لكن حمل معه الكوليرا إلى معسكر الجنرال هيربيون[30]، مثلما أمر هيربيون بقطع وتخريب مزارع النخيل كحيلة لدفع السكان للعودة للدفاع عن نخيلهم لكن فشلت خطته[31]، وأكثر من هذا فإنه رغم الحصار عجزت قوات هيربيون عن وقف المساعدات التي كانت تأتي من الواحات المجاورة خاصة واحات فرفار وطولقة وليشانا[32]، مثلما تعرضت قواته لهجوم كاسح من طرف الرحل وحتى الأطفال شاركوا في المقاومة بزرع القلق والأشواك في الطرق المؤدية إلى بسكرة[33].

ولم يستطع هيربيون دخول واحة الزعاطشة إلا يوم 26 نوفمبر بعدما تدعم بعدد كبير جدا من القوات والاستعانة بسلاح الهندسة الذي لغم المنطقة ثم الهجوم بواسطة ثلاثة أرتال من القوات من كل الجهات وتدمير وتخريب المنازل بالألغام حتى لم يبق إلا منزل الشريف بوزيان الذي استشهد بعد نسف منزله[34].

وأمر هيربيون بعلق رأس الشريف بوزيان وابنه والحاج موسى الدرقاوي عند مدخل بسكرة كي يتأكد جميع السكان بأنه قتل ولم يهرب إلى المناطق المجاورة فيثير فيهم الأمل بمواصلة الانتفاضة[35]، فكأنه كان يدرك أن هذه المقاومات والانتفاضات كثيرا ما ترتبط بزعمائها، كما قتل هيربيون أكثر من 800 جزائري دون إحصاء الموجودين تحت الأنقاض واستعمل في ذلك طرقا وحشية يندى لها جبين الإنسانية .

ونلاحظ من خلال المذكرات محاولات هيربيون تبرير المصاعب التي لاقاها أمام انتفاضة الزعاطشة بنقص عدد الجنود، فيورد أرقاما مشكوكا فيها ويحاول تأكيدها فيعطيها بدقة متناهية، كما حاول تضخيم عدد الثوار عندما يذكر أن هناك أجانب شاركوا فيها ولهذا فإننا نقول أن هيربيون أول من وضع أسس الفكرة الاستعمارية في الجزائر التي ترد مصادر كل الانتفاضات والثورات إلى أطراف أجنبية وكأن الشعب الجزائري عاجز عن الحركة الذاتية.

أظهرت انتفاضة الزعاطشة مدى تلاحم الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي من خلال التضامن والمساعدات التي كانت تأتي من خارج الواحة وكذلك قيام تمردات أخرى كمحاولة لفك الحصار عن الزعاطشة مما يدل على ظهور بوادر أولية للفكرة الوطنية في الجزائر المستندة على الدين، والتي وضع أسسها وركائزها الأمير عبد القادر طيلة 17 سنة من المقاومة، لكن لا يمكن لنا فهم واكتشاف كل هذه البوادر إلا إذا درسنا انتفاضة الزعاطشة في إطار شامل والبحث عن علاقاتها بالانتفاضات الأخرى التي هزت كل التراب الوطني في تلك الفترة. و كي نتوصل إلى ذلك علينا الإنتباه إلى محاولات المؤرخ الإستعماري حصر كل إنتفاضة في منطقة معينة كي لا يظهر للعيان مدى التضامن الوطني والديني السائد أنذاك، وقد وقع في هذا الفخ الذي نصبه المؤرخ الإستعماري الكثير من باحثينا ومؤرخينا.

الهوامش:

1- أ. سعد الله – أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1978م – ص 44-45 .

2- Commandant Seroka – Le sud Constantinois de 1830 à 1855 – Revue Africaine n 56 Année 1912 p375.

General Herbillon – Quelques pages d'un vieux cahier (Souvenirs de genral herbillon) paris pp 127 – 163.

4– أبو قاسم سعد الله – الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1992 – ص413.

5– نفس المرجع – ص331.

6– Herbillon –opcit p127

7– Ibid p159

8– Ibid p163

9– Ibid p155

10– Ibid p135

11– Ibid p145

12– Ibid p143

13– Ibid p146-147

14– Ibid p128

15– Ibid p128

16– سعد الله – الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الأول – ص 397–398 .

17– Herbillon opcit pp 129-130.–

18– C^dt Seroka Op-cit p 517

19– L-Gorguos, El hadj moussa et L'homme à L'âne

Revue africaine n 1 année 1856-1857.

20– Ibid–pp 41-49.

21– Herbillon- Opcit p131.

22– Cdt Seroka - – opcit - p 504

23– Herbillon– opcit – pp131-135 .

24– Ibid p154. –

25– Cdt Seroka – opcit – pp376-377.

26– أنظر ي. بوعزيز – كفاح الجزائر من خلال الوثائق – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1986م – صص13-74.

27– Herbillon- opcit p131 .–

28– Ibid pp131-134.

29– Ibid p141.

30– Ibid p138.

31– Ibid p143.

32– Ibid p148.

33– Ibid p150.

34– Ibid pp 154-155.

35– Ibid p155.

المستشرقون وكتابة التاريخ الإسلامي

أ–ليفي بروفنسال نموذجا .

د. عبد القادر بوباية /

مقدمة: يرجع تاريخ الاستشراق في بعض البلدان الأوروبية إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وربما كانت هناك محاولات فردية قبل ذلك، غير أن المصادر التي بين أيدينا لاتلقي الضوء الكافي على الموضوع، ويكاد المؤرخون يجمعون على أنّ الاستشراق قد انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد "الإصلاح الديني".

إن السبب الرئيس لظهور الاستشراق هو سبب ديني بالدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوروبيين مـــا تركت من آثار مرّة وعميقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني المسيحي فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العربية الإسلامية لأنها كانت ضرورية لفهم هذه الشروح على أساس التطورات الجديدة، كما أنّ رغبة المسيحيين في التبشير بدينهم بين المسلمين جعلهم يقبلون على الاستشراق ليتسنى لـــهم تجهيز المبشرين، وإرسالهم إلى العـــالم الإسلامي، ولذلك قام الاستشراق في أول أمره على أكتاف المبشرين والرهبان.

أستاذ تاريخ المغرب الإسلامي بقسم التاريخ وعلم الآثار ورئيس فرقة بحث في مخبر البحث التاريخي "مصادر وتراجم".